ليس شيء أضر بالمريد من مسامحة النفس في ركوب الرخص وقبول التأويلات
وكان رضي الله تعالى عنه يقول الذكر على قسمين ظاهر وباطن فالظاهر التهليل
والتحميد والتمجيد وتلاوة القرآن والباطن تنبيه القلوب على شرائط
التيقظ على معرفة الله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله ونشر إحسانه وإمضاء
تدبيره ونفاذ تقديره على جميع خلقه وكان رضي الله تعالى عنه يقول ذكر الله
سيف وباقي ذكرا لمذكور ما يفترا واحد يفيد على كل مذكور سواه لقوله صلى الله عليه
وسلم أفضل الذكر لا إله إلا الله وكان يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يقول من عرف طريقا إلى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه عذابا لم يعذب به
أحدا من العالمين وكان رضي الله تعالى عنه يقول عليك بمن يعظك بلسان
فعله ولا يعظك بلسان قوله والله تعالى أعلم ومنهم أبو الحسين بندار بن الحسين
الشيرازي رضي الله تعالى عنه سكن أرجان وكان عالما بالأصول وله اللسان
المشهور في علم الحقائق وكان الشبلي رضي الله تعالى عنه يعظمه ولعظم قدره
وكان بينه وبين ابن خفيف مفاوضات في مسائل شتى مات رضي الله تعالى
عنه سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وغسله أبو زرعة الطبري وسئل رضي الله تعالى
عنه بين الصوفية والمتصوفة فقال الصوفي من اختاره الحق لنفسه
خصائصا فاه فتلقا والمتصوف هو المتكلف لنفسه المظهر لزهده عن كون رغبته في
الدنيا وتزيينه لبشريته وكان يقول لا تخاصم لنفسك فإنها ليست لك دعها
لمالكها يفعل بها ما يريد وكان يقول ليس من الأدب أن تسأل رفيقك إلى أين
أو في أي شيء وكان يقول لم تقل ان تشتغل من خشية ربه فتفوت صلاته
فقال روي مجنون بني عامر في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال
غفر لي وجعلني حجة على المحبين وكان رضي الله تعالى عنه يقول من أقبل على
الآخرة وركن إليها أحرقته بنورها وصار سبيكة ذهب ينتفع بها ومن أقبل
على الله أحرقه بنور التوحيد وصار جوهرا لا قيمة له وقيل له مرة ما بال الدنيا
فقال رضي الله تعالى عنه تنادي للكلب وتتنفر عن الحق ومنهم أبو بكر الطمستاني
رضي الله تعالى عنه كان من أجل المشايخ وأعلامهم حالا متفردا في وقته
لا يشاركه فيه أحد من أبناء جنسه ولا يدانيه وكان الشبلي رضي الله تعالى عنه
يجله ويكرمه صحب إبراهيم الفارسي وغيره من مشايخ الفرس وكان من أصحاب
بجنزروذ ورد نيسابور ومات بها سنة أربعين وثلاثمائة وكان رضي الله
تعالى عنه يقول لأصحابه حال الله كبير وحال الناس قليل يريد العزلة
وكان يقول خير الناس من رأى الخير في غيره وعلم أن السبيل إلى الله تعالى
غير السبيل الذي هو عليه ولو ارتفع في الرتبة وذلك ليرى التقصير في نفسه
عما لمع

عما لمع به وكان رضي الله تعالى عنه يقول من اتبع منا الكتاب والسنة
وهاجر إلى الله بقلبه واتبع آثار الصحابة ثم سبقته الصحابة إلا لكونهم
رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله تعالى عنه يقول اليقظة
في أهل اليقظة لعمارة الآخرة كما أن الغفلة لأهل الغفلة لعمارة الدنيا
قلت هذا إذا لم يقصد المحترف بحرفته نفع العباد وإن قصد به صلاح الدنيا
فقط فإذا نوى بحرفته نفع العباد فقد عمر الدنيا والآخرة والله تعالى أعلم
وكان رضي الله تعالى عنه يقول كل من استعمل العلم فيما بينه وبين الله تعالى
مشتغله صرفه الله تعالى عن الفراغ إلى خلق الله تعالى قلت وكان
شيخنا الشيخ محمد بن عثمان من أهل هذا المقام فكان لا يتفرغ لشغل الخير يرده
عليه كلاما بها رضي الله تعالى عنه وكان يقول ماذا أصنع والكون كله عدو لي
وكان يقول الفصل بلا فصل فإذا جاء الفصل فلا وصل وكان يقول النفس كالنار
إذا أطفئت في موضع تأججت في موضع كذلك النفس إذا هديت من جانب ثارت
من جانب وكان رضي الله تعالى عنه يقول إن لم تقدروا على أن تصحبوا الله
بالأدب فاصحبوا من يصحبه ليوصلكم بركات صحبته إلى صحبة الله والله
تعالى أعلم ومنهم أبو العباس الدينوري رضي الله تعالى عنه صحب يوسف وعبد
الله بن الخراز وأبا محمد الجريري وأبا العباس بن عطاء ولقي رويما وورد
نيسابور وأقام بها مدة وكان يعظ الناس ويتكلم على لسان المعرفة بأحسن
كلام ثم رحل من نيسابور إلى سمرقند فمات بها بعد الأربعين وثلاثمائة
وكان رضي الله تعالى عنه يقول العارفون متفاوتون في ترتيبهم في مشاهدات
٨٦ الأشيا فقوم رجعوا من الأشيا إلى الله فشاهدوا الأشيا حيث الأشيا
ثم رجعوا عنها عن الأشيا إلى الله إلى الأشيا من غير علتهم عنه فلم
يجدوا حبا لا وله والحق قبله وقوم بنواح الأشيا لأنهم لم يمكن لهم طريق
منهم إلى الله وكان يقول أدنى ما في زمانه نقضوا أركان التصوف وهدموا
سبيلها وغيروا معانيها بأسامي أحدثوها سموا الطمع زيادة وسوء الأدب
إخلاصا والخروج عن الحق شطحا والتلذذ بالمذموم طيبة واتباع الهوى
ابتلاء والرجوع إلى الدنيا وصولا وسوء الخلق صولة والبخل جلادة والسؤال
عملا وبذاءة اللسان ملامة وما هكذا عن طريق القوم إنما ذكر جوامع
الحياء والأدب والزهد في الحظوظ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ومنهم أبو
عثمان سعيد بن سلام المغربي رضي الله تعالى عنه من القيروان من
قرية يقال لها الكركب أقام بالحرم السنين بعد مدة وكان شيخا صحب
أبا علي بن الكاتب وحبيبا المغربي وأبا علي الزجاجي ولقي النهرجوري
وأبا الحسن بن الصائغ الدينوري وغيرهم من المشايخ ولم يزل منفردا في علو